

الوحدة العربية

نقطة انطلاق لتوحيد المصطلح العربي

الأستاذ محمد العيني الخطايني

(الرباط)

الجهل بها بين المتعلمين في عدد من الاقطار العربية . وقد ضرب الاستعمار الفرنسي الرقم القياسي في ذلك باضطهاد لغة الضاد في تونس والجزائر والمغرب وانشائه طبقة متعلمة منفصلة عن جذورها جاهلة بلغة قومها وبحضارتهم .

هذه هي المشاكل الجوهرية ، في نظري ، أما تبسيط النحو العربي ، وتوليد المصطلحات ووضع المعاجم الضرورية فكلها مشاكل ثانوية متفرعة عن تلك ومرتبطة بها .

ثانيا :
الحلول الناجمة ، كما اراها ، هي :

(ا) بناء الوحدة الثقافية العربية بأسرع ما يمكن ومعنى الوحدة هو :

- مناهج دراسية واحدة .
- كتب دراسية واحدة .

- مجمع لغوي وعلمي عربي واحد ، وجهود متناسقة ومتألفة ، مادية وعلمية ، لوضع المعاجم واطرار المصطلحات والالفاظ الجديدة .

(ب) العناية الكبرى بالبحوث العلمية اللغوية وغيرها في الجامعات خاصة .

(ج) ايجاد اساتذة جامعيين ، على مستوى عربي مؤهلين للتدريس والبحث باللغة العربية في جميع الكليات ، وذلك طبق مناهج مخطط تتفق عليه كل الاقطار العربية .

ثالثا :

لاشك ان اللغة العربية تصلح للتدريس والبحث الجامعي ، لانها لو لم تكن كذلك لما استحدثت ان تحمل اسم لغة ، ولما كانت قادرة ان تنقل عبر قرون عديدة ثقافة علمية وأدبية وفلسفية تعد من المع الثقافات العالمية المعروفة ولما استطاعت كذلك

اولا : تعترض سير اللغة العربية مشاكل جوهرية منها :

(ا) تختلف الاقطار العربية ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، واللغة تتأثر حتيا بتخلف الامة وتردهر وترعرع بتقديم الجعاعة التي تتكلم بها .
الم تكن اللغة اليابانية واللغة الروسية متخالفتين منذ نحو مائة عام ، وكانتا قاصرتين الى حد كبير عن التعبير العلمي والتقني الذي ظهر مع الحضارة الصناعية ؟

ولنا امثلة من التاريخ ايضا : فاللغة العربية التي كانت لغة الشعر والتعبير المجرد في الجاهلية والصدر الاول من الاسلام استطاعت ان تطفر طفرة كبيرة ، بسبب الفتوحات والثورة والاحتكاك ، فما لبث ان انفتحت امامها آفاق التقدم والرقي فاصبحت لغة العلم والفلسفة والادب والدواوين (الادارة) .
وبمقارنة ذكية يتضح لنا ما حققته اللغة العربية ، كذلك من تقدم ملموس في مدة مائة عام في مطلع النهضة العربية الحديثة .

(ب) تقاعس الحكومات العربية او عجزها عن بناء الوحدة الثقافية التي هي في نظري أس الوحدة السياسية والاقتصادية بين اقطار العرب . وقد بقي دستور الوحدة الثقافية العربية الذي وقعه وزراء التعليم في بغداد منذ سنوات قليلة حبرا على ورق .
وما لم تصبح هذه الوحدة الثقافية العربية حقيقة قائمة فسوف يبقى الكلام عن توحيد المصطلحات العلمية ووضع المعاجم والمؤسسات والكتب الدراسية على نحو منسق ، سوف يبقى الكلام عن ذلك ضربا من العبث .

(ج) الاستعمار الفكري الاوربي الذي كان من العوامل التي اضعفت الثقة باللغة العربية وعميت

ان تقف في وجه استعمار غربي توي تسلط على البلاد العربية اجنبالا وحاول القضاء على لغة العرب .

خامسا :

من الخطأ الظن بأن المجمع اللغوية هي وحدها المسؤولة عن استنباط المصطلحات وتوليد الالفاظ الجديدة . ان الجهود الفردية وجهود ارباب المهن المختلفة ضرورية في هذا الباب . فالعالم الذي يبحث ويؤلف ويترجم ، والخبير الذي يعمل في مكتبه او معمله والصناع الذين يشغلون في المصانع ، والرياضيون ورجال الفن كلهم يشاركون ، في ميدان اختصاصهم ، في ايجاد الالفاظ والمصطلحات التي تدعو اليها الحاجة . ومهمة المجمع اللغوية ، فضلا عن التوليد والابتكار ، هي الجمع والتنسيق وتبني الالفاظ الصالحة المبتكرة وتصنيفها في معاجم وقواميس .

وليس بخاف على احد ان معظم الالفاظ التي تستحدث يوميا في اللغات المتقدمة بأوروبا وامريكا تجري على الالسنة وفي الصحف السيارة حينما يبتكرها ذوو الاختصاص في المصنع او المختبر او النادي او المسرح او الرسم .

نعم ، المشكلة ، هي توحيد المصطلحات ولأجل ذلك وجد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وعمله في هذا الباب نافع جدا ، والمنهاج الذي أعده لجعل المصطلحات العربية موازية ومساوية للمصطلحات الغربية الحديثة منهاج صالح جدا والمهم هو ان يسند عمل المكتب ، ماديا وعلميا (وسياسيا أيضا) حتى يؤدي واجبه في احسن الظروف والاحوال وحتى لا يعوقه عائق ، وهذا الاسناد حتى ومستعجل لان عجلة التقدم لا تنتظرنا . وقد عرض المكتب الدائم حاجته ووسائله وبنى تقديراته على اسس علمية وتقنية ، وحدد زمن الانجاز ، وهو زمن ليس بطويل (عشر سنوات) اذا تمسناه ببدء التخلف الفكري والاجتماعي التي عاشتها اقطارنا .

نعم ، ينقصها في الوقت الحاضر ، عديد من الالفاظ والمصطلحات العلمية والتقنية التي ولدت مع حضارة العصر ، وهذا ليس عيبا في اللغة العربية بل هو نقص في ابنائها وتصور وتخلف في شعوبها وليس من المستحيل ولا من الصعب تداركه .

رابعا :

من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين :
(أ) نقص كتب الدراسة والمراجع والمعاجم ، وخاصة في الكليات العلمية .
(ب) تقصير الجامعات نفسها في ميدان البحث العلمي الذي لا يتصور ان تستغنى عنه جامعة عصرية .

وما زلنا نشاهد في المغرب ، مثلا ، مسؤولين ، يؤمنون ان الجامعة ما هي الا مؤسسة غايتها تكوين الاطارات ، اي تكوين الموظفين واصحاب المهن الحرة .

ولا يخفى ان تشجيع البحوث في الجامعات عامل جوهري في ايجاد المراجع والكتب الدراسية وفي توليد المصطلحات وتعميمها بين الطلاب الجامعيين .

لقد دلت التجربة على ان العلماء الباحثين حينما يؤلفون كتابا او مرجعا علميا لا يعوزهم استنباط المصطلحات او توليدها او تعريبها وهم في ذلك لا ينتظرون ما يستعمله المجمع اللغوية ، بل يعتمدون على علمهم وخبرتهم ومعرفتهم بلغتهم مع لغة اجنبية او اكثر . والآلة على ذلك موفورة لذا فان تشجيع الباحثين والمؤلفين الجامعيين عمل هام من شأنه ان يساعد على اثناء اللغة العربية بما هي في حاجة اليه من الفاظ ومصطلحات ومراجع وادوات علمية وتقنية .